على خط النار

ملاحم الجيش .. وبطولات الشعب

محمد الشافعى

الكاتب الصحفى والمؤرخ

obeikandl.com

obeikandl.com

جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر ..تتويجاً لرحلة طويلة من النضال الوطنى ..

خاضها الشعب المصرى ضد فساد الحكم الملكى.. وعدوانية الاحتلال الانجليزى .

حيث استطاع عبد الناصر الضابط المستنير .. أن يجمع حوله مجموعة من افضل ضباط الجيش وأكثرهم وطنية .. لتكوين تنظيم (الضباط الأحرار) .. وذلك التنظيم الذى خطط ونفذ ثورة يوليو.. وفور إعلان البيان الأول لقيام الثورة.. خرجت جماهير الشعب المصرى لتعلن تأييدها وفرحتها.. وكانت الفرحة الأكبر تكمن فى (أن ضباط الجيش(هم الذين قاموا بهذه الثورة.

ولم تمض عدة أيام حتى كان قادة الثورة يعلنون أهدافها الستة.. وأهمها (انشاء جيش وطنى) .. قوى بما يعنى أن انتماء الجيش لن يكون إلا للوطن.. ولن يراعى فى تحركاته وأعماله إلا (بوصلة الشعب) .. والتقط المصريون الشارة والإشارة لينطلق (قطار الثورة) محملاً بالعشرات من شالفنانين والكتاب والنجوم ليجوب محافظات مصر.. فى الصعيد والدلتا ليجمع مساهمات المصريين فى المدن والقرى والنجوع من أجل تسليح الجيش المصرى.

والجميل ان تلك التجربة الرائعة قد بدأت بعد أشهر قليلة من قيام ثورة يوليو .. لتؤكد النخبة المصرية ممثلة فى النجوم والفنانين مع كبار الأدباء والمفكرين إيمانها بقيم وأهداف الثورة وليضع الشعب المصرى بصمته العبقرية من خلال تبرعاته ومساهماته التى ذهبت لدعم تسليح الجيش .. حتى يقوى ويحقق الهدف الأهم وبين أهداف الثورة الستة(إنشاء جيش وطنى قوى).وهكذا حدث ذلك (الامتزاج البديع) ما بين الجيش والشعب.. فالجديش هو الطليعة المنتخبة من الشعب ورأس الحربة التى تقاوم وتصد كل استهداف أو اعتداء على الوطن.. والشعب هو الظهير الحامى.. والاحتياطى الاستراتيجى .. الذى يقدم كل الدعم

والتأييد لجيش الوطن.. وجاء شعار (يد تبنى .. ويد تحمل السلاح) – والذى أعلنه زعيم الثورة جمال عبد الناصر – ليؤكد على ذلك الامتزاج العبقرى بين الشعب والجيش .. وانطلقت عمليات البناء تشمل كل ربوع مصر.. ولتحتل مصانع الانتاج الحربى) مكانة كبيرة.. والمخططات كانت دقيقة ومحكمة .. فكان لابد من طرح مشروعات عملاقة وقومية .. ومنها مشروع بناء السد العالى.. والذى وافق على تمويلة كل من أمريكا وانجلترا والبنك الدولى.. ولكن وأه من لكن تلك – هذا التمويل كان مشروطا بعدد من الشروط التى تنتقص من السيادة الوطنية المصرية.. وكان من الطبيعى أن يرفض عبد الناصر هذه الشروط. لتتكشف أبعاد (المؤامرة الكبرى) على مصر .. حيث كان الاستعمار – الذى اجبرته الثورة على الرحيل عن مصر فى ١٨ يونية ١٩٥٦ (عيد الجلاء) – يسعى للعودة سريعاًا ليس فقط لاحتلال مصر .. ولكن للتحكم فى أقدارها ومقدراتها.. وعنما رفض عبد الناصر تلك الشروط الاستعمارية المهينة.. اعلن الامريكان والانجليز والبنك الدولى.. الانسحاب من عملية تمويل بناء السعد العالى فى مصر.. يرد عليهم الزعيم جمال عبد الناصر بقوة.. وبعد أقل من أسبوع من قرارهم بسحب التمويل.. وذلك بقراره التاريخى بتأميم قناة السويس.. وذلك فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦.

ورغم أن تأميم قناة السويس حق مصرى أصيل.. تقره كل الأعراف والقوانين الدولية الا انه تحول إلى (شماعة) .. استخدمتها كل القوى الاستعمارية لمحاولة النيل من مصر.. وتبلورت المخططات الاستعمارية ضد مصر .. فى مؤامرة ثلاثية جمعت كلا من انجلترا وفرنسا والكيان الصهيونى... وكل طرف من الثلاثة له أهدافه من وراء ذلك (التحالف الشيطانى) – فانجلترا ترغب فى العودة إلى احتلال مصر.. درة التاج فى المستعمرات البريطانية.. وكأن الإنجليز لم يكفهم أكثر من سبعين عامًا احتلوا فيها مصر.. واستنزفوا كل خيراتها.

أما فرنسا فكانت تهدف إلى (تأديب) مصر على دعمها ومساندتها للثورة الجزائرية .. وإحتضان ودعم ثوار الجزائر بالتأييد السياسى والدعم العسكرى .. بينما الكيان الصهيونى كان يهدف الى (وأد) تلك القوة المصرية التى أخذت فى التنامى .. والقدرة على التأثير إقليميا وعالميًا.. وكان الكيان الصهيونى يهدف أيضا إلى تعويض خسائرة بعد أن كشفت مصر وفضحت العمليات الارهابية الصهيونية ضد المصالح الانجليزية والامريكية فى مصر.. لتعطيل إنجاز (اتفاقية الجلاء) بين مصر وانجلترا.. تلك العمليات الارهابية التى اشتهرت باسم (عملية لافون).. واجتمع أطراف المؤامرة الثلاثة فى ضاحية (سيفر) على أطراف العاصمة الفرنسية باريس.. واتفقوا على كل تفاصيل المؤامرة .. والتى تبدأ بإغارة الصهاينة على سيناء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦.. ثم أصدار انجلترا وفرنسا بيانا يطلب انسحاب مصر والكيان الصهيونى لمسافة عشرة كيلو مترات بعيدًا عن قناة السويس شرقًا وغربًا.. وصدر هذا التحذير الهزلى بينما قوات الصهاينة لم تدخل المسافة عشرة كيلو مترات فى سيناء.. ورفضت مصر هذا الانذار وقبلة الصهاينة.. لتبدأ بعدها الغارات الجوية الفرنسية الانجليزيه على مدى خمسة ايام وتركزت هذه الغارات على مدينة بورسعيد.. وكانت خطة المؤامرة على الجيش المصرى .. الصهاينة من شرق القناة والانجليز والفرنسيون من الغرب .. وعلى الفور أمر عبد الناصر بتعطيل الملاحة فى قناة السويس من خلال اغراق واحدة من المراكب الكبيرة بعرض القناة.. كما أمر بسحب قواتنا من سيناء.. ليصبح الطريق البرى هو البديل الوحيد امام القوات الانجليزيه والفرنسية.. وعند ذلك سيصبحون فى مواجهة مع كل الشعب المصرى .. خاصة بعد أن اعتلى جمال عبد الناصر منبر الأزهر الشريف بعد صلاة الجمعة.. وخطب فى الجماهير معلنًا صيحته الوطنية المدوية(سنقاتل .. سنقاتل) وعلى الفور تكونت مجموعات المقاومة الشعبية فى بورسعيد.. اكثر من عشر مجموعات بقيادة مصطفى كمال الصياد ..وتحت اشراف ضابطى المخابرات سمير غانم وعبد الفتاح أبو

الفضل .. وسارع كل شباب بورسعيد للانضمام لمجموعات المقاومة الشعبية .. خاصة بعد أن وفر السلاح والذخيرة ... التى تم توزيعها على كل أبناء المدينة بلا أى شرط أو ضمان إلا ضمان الوطنية والانتماء .. ورغم احتلال مدينتى بورسعيد وبورفؤاد .. من قبل الانجليز والفرنسيين .. إلا إن أبطال المقاومة خاضوا العديد من المعارك.. ونفذوا العديد من العمليات ضد قوات العدوان وكان محافظ القنال .. وهو السيد محمد رياض وهى المحافظة التى تضم الاسماعيلية وبورسعيد فى ذلك الوقت نموذجا للصمود حيث رفض كل الضغوطات التى مارسها ضده كل قيادات العدوان.. ورغم صعوبة وجود قوات الجيش فى مواجهات مباشرة مع قوات العدوان إلا إن بعض ضباط الصاعقة بقيادة جلال هريدى إستطاعوا التسلل إلى بورسعيد عبر بحيرة المنزلة.. واستطاعت السيدة أم على إخفاءهم فى عيادة طبيب الاسنان الذى تعمل لديه. واستطاع عبد الناصر أن يحرك العالم ضد هذا العدوان الغاشم.. ومنذ اللحظة الأولى للعدوان وقفت العديد من الدول مع مصر ومنها الاتحاد السوفيتى – الهند – يوغوسلافيا.. وأصدر الاتحاد السوفيتى إنذاراً شديد اللهجة إلى المعتدين.. وبعده أصدرت أمريكا إنذاراً آخر ضد المعتدين .. وفى المقابل كانت عمليات المقاومة الشعبية شديدة الايلام للمعتدين.. حيث إستطاع البطل محمد حمد الله ورفاقة خطف الضابط الانجليزى (أنتونى مورهاوس) – والذى انقلب العالم من أجله.. ..حيث اتضح أنه قريب الملكة اليزابيث .. وأصيب الانجليز بسعار شديد بحثًا عن هذا الضابط .. والذى أخفاه الفدائيون داخل صندوق مما أدى إلى موته فى النهاية .. وراح ضابط المخابرات الانجليزى (وليامز) يحقق مع ضباط الشرطة بالمدينة بحثًا عن ضابطهم المخطوف.. ويعذب من يقع منهم فى الأسر. وقامت مجموعة أبطال الصاعقة بقيادة جلال هريدى بتنفيذ عملية جريئة ضد دبابات العدو .. أدت كل هذه العمليات إلى انسحاب الانجليز والفرنسيين من مصر.. ذلك الانسحاب الذى تم فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .. ليصبح هذا اليوم عيدًا للنصر .. بعد أن شارك

الشعب والجيش جنبا إلى جنب فى مقاومة ودحر العدوان.. وقرر عبد الناصر تعيين السيد عبد اللطيف بغدادى وزيراً لإعمار بورسعيد.. فذهب إلى هناك ومعة كمية كبيرة من (ميدالية بورسعيد) .. ليمنح كل بطل ميدالية .. ويسترد منه السلاح الذى معه .. فى تجربة إنسانية فريدة لم ولن تتكرر فى أى دولة من العالم.. حيث لم يتخلف عن هذه التجربة (لص أو بلطجى أو قاطع طريق أو إرهابى) .. ويلخص البطل الراحل سيد عسران هذه التجربة قائلا (كان الزعيم يثق فى شعبه .. وكان الشعب يثق فى زعيمه) .. واستطاعت مصر أن تدير القناة بأعلى كفاءة رغم انسحاب كل المرشدين الاجانب حيث تعاون المرشدون المدنيون مع ضباط القوات البحرية للقفيام بهذه المهمة الصعبة كما استطاعت مصر أن تخرج من تجربة العدوان الثلاثى وهى أكثر قوة وتأثيراً عربياً وإقليمياً ودولياً .. لتضع بصماتها فى كل الاتجاهات حيث ساندت كل حركات التحرر فى العالم.. وخاصة الثورات العربية ضد الظلم والاحتلال وساهمت مع الهند ويوغوسلافيا فى تأسيس منظمة عدم الانحياز .. واعترفت بالصين الشعبية وذلك ضد رغبة الأمريكان والغرب بشكل عام.. ألخ .

وفى الداخل عملت مصر بقيادة جمال عبد الناصر على المضى بخطى ثابتة وعملاقة فى طريق التنمية.. بداية من مشروع السد العالى .. مرورًا بإنشاء المصانع الكبرى .. واستصلاح مئات الآلاف من الأفدنة .. وإنشاء المدارس والمستشفيات ومراكز الشباب ..وكل هذه الخطوات العملاقة لم تكن على هوى الغرب.. وخاصة الحلف الصهيو أمريكى .. فكان لابد من إعداد مؤامرة أكثر إحكامًا من مؤامرة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦.. وذلك لضرب التجربة المصرية حتى لا لايتم استنساخها أو تكرارها فى دول العالم الثالث.. ومعه شمس بدران الذى كان وزيراً للحربية فى ذلك الوقت .. وبدأت فصول المؤامرة صباح يوم ٥ يونيه ١٩٦٧ .. بضربة هائلة من الطيران الصهيونى على كل المطارات المصرية .. لتفقد مصر ٨٥٪ من سلاحها الجوى .. وبكل الشجاعة والفروسية خرج عبد الناصر على

الشعب فى خطابة الشهير يوم ٩ يونيه ١٩٦٧ معلنا مسؤليتة الكاملة عما حدث .. ومعلنا تنحيه عن السلطة وما إن إنتهى الخطاب الحزين حتى إمتلأت كل شوراع مصر والوطن العربى بالملايين من الجماهير.. التى خرجت لتعلن رفضها لقرار التنحى .. أولاً لثقتها فى شخص عبد الناصر وقدرته على الخروج من هذه الأزمة ومحو آثار العدوان.. والأهم لأن هذه الجماهير التى تحب عبد الناصر رفضت أن يتخلى عن مسؤلياته.. وأرادت أن يتحمل كامل المسؤلية عن محو عار الهزيمة.

وكان عبد الناصر عند حسن ظن الجماهير حيث عدل عن قرار التنحى يوم ١٠ يونيه .. وفى اليوم التالى مباشرة بدأ مسيرة الإصلاح وذلك بتغيير قيادات القوات المسلحة.. حيث أتى بالفريق محمد فوزى الأكثر ضبطا وربطا وإنضابطا ليصبح القائد العام للقوات المسلحة .. وأتى بالفريق عبد المنعم رياض ليصبح رئيس أركان حرب القوات المسلحة .. وهو الأكثر علما وقدرة إستراتيجية وتكتيكية .. وتم تغيير قادة الأسلحة حيث جاء الفريق مدكور أبو العز قائداً للطيران .. وهكذا وضع عبد الناصر مسئولية الجيش فى يد مجموعة من الكفاءات الحقيقية .. وكانت تكليفاته واضحة وحاسمة بضرورة إعادة بناء القوات المسلحة فى أسرع وقت ممكن.. وذلك إستعدادا لمعركة الثأر ورد الكرامة ضد العدو الصهيونى.

وعاد الفريق رياض من الجبهة الأردنية التى كان يقودها فى يونيه ١٩٦٧..ليبدأ على الفور مع الفريق فوزى وضع مجموعة من الأسس والقواعد لبناء جيش قوى.. يأخذ بكل أسباب العلم.. وكان القرار الأهم هو التوسع فى تجنيد حملة المؤهلات المتوسطة والعليا.. وذلك لقدرتهم على استيعاب التكنولوجيه الحديثة.

ورغم مشاعر الغضب والألم التى ملأت قلوب كل مصرى سواء فى الشعب أو الجيش وخاصة بين أفراد القوات المسلحة ..لأنهم ظلموا ولم يخوضوا أى معركة ضد العدو .. وفى أيام قليلة بعد وقف إطلاق النار كان أبطال

الجيش على أتم الاستعداد لخوض معارك نوعية لاستنزاف قدرات العدو.. وجاءتهم الفرصة سريعًا .. عندما أخبر أحد المرشدين القيادة العسكرية في بورسعيد بتحرك قول كبير من مدرعات العدو من القنطرة شرق متجهاً إلى بورسعيد – وعلى الفور تم إعداد فصيلة من الكتيبة ٤٣ صاعقة بقيادة الملازم فتحى عبد الله ومعه الرقيب حسن سلامة... ليعبروا على الفور من عند نقطة رأس العش إلى شرق القناة وكان عدد كل أفراد الفصيلة ٢٨ فرداً معهم مدفع مضاد للدبابات .. وبعض مدافع **RBG7** .. وكان الوحيد الذى يجيد التعامل مع هذا السلاح الجديد هو الرقيب حسن سلامة .. ومع آخر ضوء تحركت قوات العدو بكل الغرور والصلف .. ورغم علمها بوجود القوة المصرية إلا أنها أبدت كل إستهانة وإستخفاف بهذه القوة... وعملت على ضرب القوة المصرية الموجودة فى غرب القناة أولاً .. ثم تقدمت فى إتجاة فصيلة الصاعقة الموجودة فى رأس العش.. لتفاجأ بأبطال مصر يفتحون من النيران من كل ناحية .. وحاول العدو الالتفاف عبر الملاحات لضرب القوة من الخلف ... فكان له الابطال بالمرصاد.. فخرجت من صرخاتهم واستغاثاتهم لكى يأتيهم المدد .. ليعبر البطل ملازم أول عبد الوهاب الزهيرى ومعه فريقه من جنوده إلى الشرق.. ولينجحوا فى تدمير أربع دبابات للعدو.. ويقطعوا خط إمداده .. والأهم أن الزهيرى وجد فى هذه الدبابات كنزاً من الخرائط والوثائق .. وعندما عاد الزهيرى ورجاله إلى الغرب وكان النهار قد أضاء الكون .. وجد البسطاء من أهالى المنطقة قد أعدوا له إفطاراً شهياً من الجبن والبيض ..ورغم سقوط عشرين شهيدا من غرب شرق القناة.. إلا أن خسائر العدو كانت أضعاف ذلك .. إضافة الى تدمير أكثر من عشر دبابات .. والاهم هو إفشال خطة العدو التقدم واحتلال مدينة بورفؤاد .. فهى المدينة الوحيدة التى ظلت محررة فى كل سيناء.. وكان الصهاينة يحاولون احتلالها لمساومة مصر على افتتاح قناة السويس مع اقتسام العائد بالنصف .

وفى صباح الأول من يوليه ١٩٦٧ .. أى بعد ٢٥ يوماً فقط من الهزيمة .. خرج وزير الحرب الصهيونى فى مؤتمر صحفى وهو يكاد يبكى ليعلن تفاصيل معركة رأس العش .. وكيف استطاعت قوة مصرية صغيرة أن تقهر (قول مدرع للعدو) .

وكان الرئيس عبد الناصر يتابع تفاصيل هذه المعركة لحظة بلحظة من خلال تليفون نقطة إرشاد رأس العش .. وأصدر أوامره فى الثانية صباحاً وأثناء القتال بترقية كل من شارك فى هذه المعركة إلى الرتبة الأعلى.. ليقدم الجيش المصرى الدليل القاطع على أنه قد ظلم فى معركة يونيه ١٩٦٧ .. وأن الفرصة عندما جاءته استطاع أن يلقن العدو درساً لم ينسه حتى الآن.. واستطاع أن يحقق ما لم ولن يحققه أى جيش آخر .. حيث نهض من الهزيمة الى المقاومة والمواجهة فى أقل من خمسة وعشرين يوماً.

منظمة سيناء العربية:

وتوالت بعد ذلك ملحمة حرب الإستنزاف .. التى إستمرت أكثر من ألف يوم.. تلقى خلالها العدو الصهيونى ضربات موجعة.. مما جعله يطلب من حلفائه الأمريكان أن يبلغوا مصر إستعداده للإنسحاب من سيناء كاملة .. وتقدم الأمريكان بمبادرتين فى نوفمبر ١٩٦٨ وفى مارس ١٩٦٩ لانسحاب الصهاينة من سيناء مقابل مرور سفنهم فى قناة السويس .. ولكن الزعيم جمال عبد الناصر أبى أن يقدم على (الحل المنفرد) وأصر على أن يتم حل كل القضية العربية مرة واحدة.. فالإنسحاب من الجولان من قبل الإنسحاب من سيناء.. وحل القضية الفلسطينية قبل حل القضية المصرية .. وقد شهدت ملاحم حرب الاستنزاف واحدة من أهم تجليات تلاحم (الجيش والشعب).. وذلك من خلال (منظمة سيناء العربية) .. تلك المنظمة التى نشأت بمبادرة شعبية.. وبرعاية عسكرية .. وذلك بعد أحداث يونيه ١٩٦٧ .. وكانت البداية من البطل عبد المنعم خالد.. الشاب السويسى الذى بادر بالإلتحاق بالمقاومة الشعبية بعد يونيه

١٩٦٧ ..وكان يعمل سائقاً بشركة البحر الأحمر.. ودائم السفر ما بين السويس والقاهرة.. لإحضار السلاح اللازم لعمليات المقاومة .. وفى احدى سفرياته الى القاهرة ذهب الى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية .. وطلب التطوع للعمل الفدائى بالأرض المحتلة .. وملأ الاستمارة الخاصة بذلك وتوالت عمليات أبطال منظمة سيناء العربية ضد العدو الصهيونى فى عمق سيناء.. وفى المقابل كان البطل ابراهيم الرفاعى قد شكل مجموعته ٣٩ قتال من أبطال الصاعقة البحرية .. وراح ينفذ عشرات العمليات النوعية المبهرة ضد قوات العدو فى كل سيناء شمالاً وجنوباً ووسطاً.. وأدت عمليات المجموعة ٣٩ ومنظمة سيناء الى تسابق كل جنود الجيش المصرى لطلب الاشتراك فى الهجمات ضد العدو .. الذى لم يجد أمامه لوقف هذا الطوفان إلا الإغارة على المدنيين الأبرياء .. وفى كل مرة يلجأ إلى هذه الخسة .

لسان التمساح:

وسوف نكتفى بذكر عملية واحدة من عمليات منظمة سيناء العربية .. وعملية أخرى للمجموعة ٣٩ قتال .. حيث حيث قررت مصر مع بداية مارس ١٩٦٩ تصعيد حرب الاستنزاف لتصبح بطول الجبهة من بورسعيد إلى السويس ومن العمق حتى الطور وشرم الشيخ وبدأ هذا التصعيد بضربة قاصمة وقاسية من المدفعية المصرية بطول الجبهة يوم ٨ مارس ١٩٦٩ .. ليصاب العدو بخسائر فادحة فى الأفراد والعتاد.

وفى اليوم التالى ذهب الفريق عبد المنعم رياض إلى الجبهة ليتعرف عن قرب على ما فعلته ضربة المدفعية فى مواقع العدو .. وبعد مروره على عدة مواقع وصل الى موقع نمرة ٩ بالإسماعيلية .. والذى لا يبعد عن قوات العدو بأكثر من ٢٥٠ متر ..فى أقصر مسافة يقف عندها قائد بهذه الرتبة الكبيرة فى كل حروب العالم .. وبعد أن تفقد الأوضاع وحيا الجنود والضباط .. لاحظ العدو حركة غير اعتيادية فى هذا الموقع

فبدأت مدفعيته إستهداف الموقع لينزل كل الجنود والضباط إلى (المخابئ البرميلية) وترد مدفعيتنا على هذا الهجوم .. ونزل الفريق رياض ومعه قائد الجيش الثانى إلى أحد هذه المخابئ البرميلية .. وفجأة تسقط دانة مدفع عند فتحة هذا المخبأ وتنفجر ..، ليصاب الفريق رياض بعملية (تفريغ هواء) عملت على إصابة كل أغضائه داخل الجسم.. وكان هو الوحيد الذى أصيب خلال هذه الغارة .. ورغم محاولة نقله بكل السرعة الممكنة إلى المستشفى .. إلا أن النزيف الداخلى كان كبيراً ليستشهد هذا البطل العظيم .. وتقام له جنازة حاشدة خرجت من مسجد عمر مكرم وعلى رأسها الزعيم جمال عبد الناصر إلى مسجد جركس فى شارع صبرى أبو علم وسط القاهرة.. وراحت الجماهير التى ملأت كل شوارع المدينة تهتف بصوت واحد (بالجيش والشعب هنكمل المشوار) .. وجاءت أوامر عبد الناصر .. بضرورة الانتقام من الموقع الذى خرجت منه الدانة التى استشهد بها الفريق رياض .. وتم اسناد المهمة للمقدم ابراهيم الرفاعى قائد المجموعة ٣٩ قتال.. والذى أعد خطته بالإغارة على موقع العدو فى لسان التمساح يوم ١٩ إبريل ١٩٦٩ .. وكأنه أراد الاحتفال بذكرى مرور أربعين يومًا على إسشهاد رياض.. وهى عادة مصرية قديمة ..وكان موقع لسان التمساح يبعد عن شاطئ القناة بأكثر من ثلاثة كيلو مترات فى عمق سيناء .. وهو نقطة حصينة مكونة من أربع دشم تطل على مساحة واسعة .. وأعد الرفاعى خطته بعد تقسيم قواته إلى سبع مجموعات .. مجموعة لقيادة القوارب والاستطلاع ..ومجموعة لقطع طريق امدادات العدو .. ومجموعة للقيادة والسيطرة .. وأربع مجموعات وكانت المجموعات بقيادة الضباط أحمد رجائى عطية.. محيى نوح – وئام سالم.. محسن طه .. والعملية كلها بقيادة الرفاعى.. وفى الموعد المحدد عبر الأبطال ووصلوا إلى النقطة الحصينة وراحب كل مجموعة تنفذ المهام الموكلة إليها.. وفوجئ العدو بهذه الخطة المحكمة.. وكانت النتيجة قتل كل من كان داخل الدشم .. وإنزال العلم الصهيونى.. وفك رشاش نصف

بوصة كان فى الساحة التى بين الدشم .. وتدمير دبابتين حاولتا انقاذ الموقع .. ولم يصب إلا فردان من القوات المهاجمة منهما النقيب محيى نوح الذى زاره الزعيم جمال عبد الناصر فى مستشفى المعادى واستمع منه إلى التفاصيل الدقيقة لهذه العملية.

وكانت هذه العملية بداية لعدة عمليات من الاغارة على النقاط الحصينة للعدو مما كان له أكبر الأثر عند العبور العظيم فى أكتوبر ١٩٧٣.

الهجوم فى وضح النهار:

أما عملية منظمة سيناء العربية .. والتى نفذها فدائيو السويس فحملت إسم (الهجوم فى وضح النهار) ..وتم تنفيذها يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٩ .. وشارك فيها مجموعة من الأبطال الفدائيين المدنيين وهم مصطفى أبو هاشم، محمود عواد .. محمود طه – فتحى عوض الله – عبد المنعم قناوى – ميمى سرحان – سعيد البشتلى – عبد المنعم خالد – أشرف عبد الدايم – فايز حافظ أمين – إبراهيم سليمان – أحمد عطيفى .

حيث تم التدريب والتخطيط على إصطياد دورية للعدو الصهيونى مكونة من سيارتين ودبابة تمر يوميا على الشاطئ الشرقى لقناة السويس.. وكان العدو قد مد بطول الشاطئ (سلك حساس) .. موصول بمجموعة من الألغام .. ولكن سلاح المهندسين نجح فى تأمين الألغام .. وقص هذا السلك وربما حدث خطأ ما عند قص السلك مما جعل نقطة مراقبة العدو تشعر بتغيير فى الأوضاع .. مما جعل العدو يدفع بثلاثة جنود معهم أجهزة للبحث عن المتفجرات .. ومعهم خمسة كلاب مدربة على شم المتفجرات.. وبعدهم تسير الدورية المكونة من السيارتين والدبابة .. وكان الأبطال المصريون قد قسموا أنفسهم طبقاً للخطة الموضوعة إلى أربع مجموعات .. مدموعتان للهجوم .. ومجموعتان للحماية والتأمين .. ولكن تغير كل التخطيط فجأة ..حيث اقترب أحد الجنود الصهاينة ومعه

جهاز كشف المتفجرات من مكان دفن المتفجرات .. وانحنى على المكان مباشرة.. فعاجله البطل مصطفى أبو هاشم بطلقة أنهت حياته وبادر كل الأبطال إلى تصويب أسلحتهم إلى السيارتين والدبابة .. ويقفز جنود العدو من السيارتين مثل الفئران .. وقبل أن يتمكنوا من الإمساك بأسلحتهم .. كانت طلقات الأبطال تحصدهم .. ليتم قتل ثمانية منهم .. وكانت الأوامر ضرورة العودة بأسير .. واستطاع البطل محمود عواد الإمساك بأحد الجنود وكان ضخم الجسم .. وسلمه للبطل محمود طه .. الذى ذهب به إلى القارب.. ولم ينج من كل جنود العدو فى الدورية إلا جندى طويل جداً يرتدى نظارة سميكة جداً .. كان يجرى مرعوباً لدرجة أن ركبتيه كانتا ترتطمان فى جبهته.. ورغم أنه كان فى مرمى نيران محمود طه إلا أنه تركه .. لأنه كان مذعوراً وكان يردد كلمة واحدة (والنبى والنبى) .. وهى كلمة لا يقولها إلا المصريون.. وأكد محمود طه أنه تركه لكى يذهب إلى قادته ويحكى عن الرعب والهلع وعن قدرة المصريين على المواجهة والقتال بشجاعة وتحقيق الانتصار على أجهزتهم وجنودهم.

ولم تنتهى العملية عند هذا الحد .. حيث كان البطل محمود عواد يحمل معه علم مصر.. وبسرعة شديدة إستطاع ب (السونكى) حفر حفرة مناسبة غرس فيها العلم .. وأحاطة بمجموعة من الألغام وظل هذا العلم يرفرف لمدة عامين .. حيث تم تكليف القوات المصرية الموجودة غرب القناة بحراستة على مدى الأربع وعشرين ساعة .. وظل العلم يرفرف إلى أن تآكل بفعل الرياح وعوامل التعرية .. وظل السارى مغروساً فى الأرض حتى حرب أكتوبر.. وفى طريق العودة بالقارب عبر القناة غرس الأسير الصهيونى الذى إدعى الموت خنجره فى يد البطل محمود طه الذى لم يصرخ أو يتألم .. وشاهده مصادفة محمود عواد فضرب الأسير على رأسه.. وعاد الأبطال ليتلقوا تهنئة القادة.. مع لوم خفيف لأن العملية تم تنفيذها فى تسع دقائق بدلاً من عشرة.. ولأنهم قاتلوا من الوضع واقفاً.. مما يجعلهم هدفاً سهلاً لأى هجوم من العدو يأتى من العمق.

السد العالى وانتصار اكتوبر:

وتتواصل ملاحم الجيش .. وبطولات الشعب .. وكان السد العالى أعظم المشروعات الهندسية فى القرن العشرين.. ساحة لوحدة الجيش والشعب.. ولن نغال إذا قلنا إن السد العالى قد ساهم بنصيب كبير فى تحقيق إنتصار اكتوبر .. وتبدأ الحكاية بانتداب مجموعة من الضباط المهندسين بالقوات المسلحة للعمل فى السد العالى .. وكان من بينهم المقدم باقى زكى يوسف .. والذى كان مسئولاً عن (الحملة) أو السيارات .. وراح آلاف العمال والمهندسين ومعهم ضباط الجيش .. يسطرون تلك الملحمة العظيمة فى أسوان .. إلى أن وقع عدوان يونية ١٩٦٧.. ليتم استدعاء ضباط القوات المسلحة للإنضمام إلى وحداتهم .. وذهب المقدم باقى زكى يوسف ليصبح مسؤلاً عن (مركبات) الفرقة ١٩ بالجيش الثالث .. وفى مايو ١٩٦٩ .. جاءت الأوامر من الرئيس عبد الناصر بضرورة وضع الخطط للعبور الشامل وتحرير سيناء.. وكان الرئيس عبد الناصر طوال حرب الإستنزاف يتصل يومياً بالفريق محمد فوزى القائد العام للجيش.. ويجتمع أسبوعياً بكل قادة الجيش للوقوف على آخر التطورات .. ومعرفة كل المتطلبات والعمل على تلبيتها .. وبعد أن جاءت الأوامر بوضع خطط العبور الشامل.. عقد اللواء سعد زغلول عبد الكريم قائد الفرقة ١٩ إجتماعاً مع قادة الأفرع بالفرقة.. ودار النقاش طويلاً حول كيفية التغلب على خط بارليف .. الذى ارتفع الى ٢١ متر .. وأصبح عرضه من ١٠ إلى ١٢ متراً .. وكانت كل أفكار القادة تدور حول تلغيم أجزاء من خط بارليف بكميات هائلة من المتفجرات لعلها تساعد فى فتح ثغرة .. أو توجيه مئات المدافع لتضرب على نقطة بعينها .. لعلها أيضا تنجح فى فتح ثغرة فى هذا الخط الرهيب .. وكان خبراء العسكرية فى الشرق والغرب قد أجمعوا على أن فتح ثغرة فى خط بارليف يحتاج إلى (قنبلة نووية) بما يعنى إستحالة عبور القوات المصرية إلى شرق القناة.. وأن مصر ستكتفى بالعمليات الخاصة التى يقوم بها أبطال الجيش والفدائيون ..

وهذه العمليات لن تحرر سيناء ووسط هذا النقاش العسكرى والإستراتيجى رفع المقدم باقى يده .. فقال له اللواء سعد زغلول عبد الكريم (رافع إيدك ليه يا باقى ما إنت اللى هتشيل ده كله) فرد (يا فندم عايز اتكلم فى مشكلة السد الترابى).. فنظر إليه كل زملائه الضباط ..وكأنهم يقولون ماذا سيقول(ضابط مركبات) عن هذه المشكلة الصعبة .. فقال له اللواء سعد (قول يا باقى).. فقال يا فندم المشكلة سهلة .. فالصهاينة صنعوا المشكلة ووضعوا الحل تحت أقدامها، والحل هو (طلمبات ماصة كابسة) يتم تركيبها على القوارب المطاطية .. لتأخذ المياة من القناة.. وتضخها بقوة على جسم السد الترابى لينهار فى الماء.. خاصة وأن السد مصمم بزاوية ميل ٨٠ درجة مثل جسر القناة تماماً.. ومكون من كثبان رملية طبيعية مع ناتج حفر القناة .. وعندما انتهى المقدم باقى من شرح فكرته لم يتلق أى رد فعل من أى أحد.. حيث ساد صمت رهيب وكأن على رؤوسهم الطير.. ولم يقطع هذا الصمت إلا اللواء سعد وهو يقول(قول تانى) .. وشرح المقدم باقى فكرته مرة أخرى ليدور حولها النقاش.. ويحسم المقدم باقى هذا النقاش بقوله (يا فندم لقد جربنا هذه الفكرة فى السد العالى عندما كنا نجرف الرمال والحصى بقوة إندفاع المياه) .. وعند هذا الحد رفع اللواء سعد زغلول سماعة التليفون وكانت الساعة قد تخطت منتصف الليل وطلب اللواء طلعت حسن على قائد الجيش الثالث.. وشرح له الفكرة .. فطلب منه قائد الجيش الثالث أن يأتى إليه فى مكتبه صباحاً ومعه الضابط صاحب الفكرة .. وفى الثامنة صباحاً .. كان اللواء سعد والمقدم باقى فى مكتب اللواء طلعت .. والذى استمع إلى شرح تفصيلى للفكرة .. ليرفع بعدها سماعة التليفون ويطلب اللواء ممدوح جاد تهامى نائب رئيس هيئة العمليات ويشرح له الفكرة .. ليطلب اللواء ممدوح أن يتم إرسال الضابط صاحب الفكرة فوراً إلى هيئة العمليات.. وبسيارة قائد الفرقة ذهب المقدم باقى إلى هيئة العمليات بالقاهرة وتصادف أن اللواء ممدوح كان قائداً للفرقة ١٩ ويعرف المقدم باقى

جيداً .. واستمع منه لشرح تفصيلى للفكرة ليرفع سماعة التليفون ويطلب اللواء جمال محمد على قائد سلاح المهندسين.. ويطلب منه أن يسمع فكرة المقدم باقى.. على أن يعود باقى إلى هيئة العمليات مرة أخرى.. واستمع قائد سلاح المهندسين إلى شرح تفصيلى للفكرة ليضرب بعدها بكفه على مكتبه ويصيح (ما هى ما تجيش غير كده).

وقبل أن يعود المقدم باقى إلى مكانة فى الفرقة ١٩ مر على وزارة السد العالى.. وكانوا يعرفونه جيداً وحصل على كل الرسومات والمعلومات عن الطلمبات التى تشرح كيفية عمل هذه الطلمبات التى كانت تجرف الحصى والرمال فى أعمال السد العالى.

وبعد يومين طلب قائد الفرقة اللواء سعد زغلول من المقدم باقى أن يكتب فكرته بشكل شديد الإختصار والإيضاح لإن الفكرة سوف تعرض على الرئيس عبد الناصر فى اجتماعه الأسبوعى مع قادة الجيش .. كما طلب اللواء سعد من المقدم باقى حرق كل المسودات الموجودة لديه.. وفى اجتماعه مع قادة الجيش أقر عبد الناصر هذه الفكرة العبقرية .. وطلب عمل التجارب عليها.. وتمت أول تجربة فى منطقة حلوان.. حيث تم فتح الثغرة فى ثلاث ساعات ونصف.. وتوالت التجارب لتصل إلى ٣٠٠ تجربة .. وكانت التجربة الأخيرة فى جزيرة البلاح فى قلب قناة السويس .. على سد من نفس الرمال المكون منها خط بارليف .. وتم استيراد الطلمبات من إنجلترا .. وكانت تفتح الثغرة فى ثلاث ساعات وربع الساعة.. ثم تم استيراد طلمبات توربينية من ألمانيا كانت تفتح الثغرة فى ساعتين فقط .. وفى يوم السادس من أكتوبر تم فتح ستين ثغرة فى أقل من ثمانى ساعات ليعبر أول لواء مدرع فى الثامنة والنصف مساءً أى قبل موعد عبوره بساعتين كاملتين واستطاعت فكرة العبقرى باقى زكى يوسف أن تزيل ٩٠ ألف متر مكعب من رمال خط بارليف.. ليصبح العبور الى شرق القناة.. ربما اسهل من العبور من غرب إلى شرق نهر النيل.

حائط البطولات:

مع توالى الضربات المصرية الموجعة ضد الأهداف الصهيونية خلال حرب الإستنزاف وجد العدو الصهيونى نفسه عاجزاً عن (الرد العسكرى) فى كتير من المواجهات . فلجأ إلى القسوة والعنف غير المبرر ضد المدنيين فى مدن القناة الأربع .. الإسماعيلية والسويس وبورسعيد والقنطرة غرب .. فرفع عبد الناصر شعار (التهجير جزء من المعركة) .. وتم تهجير مئات الألاف من سكان مدن القناة إلى الدلتا والصعيد .. ورغم ذلك واصل العدو الصهيونى ضرباته ضد الأهداف المدنية فى معامل البترول بالزيتيات فى مدينة السويس .. وفى مدرسة لأأطفال فى بحر البقر على مشارف مدينة بورسعيد .. وفى مصنع أبو زعبل بالقليوبية .. وفى قناطر نجع حمادى فى قلب الصعيد.. وغير ذلك من استهداف المدنيين فى محاولة يائسة لإضعاف الروح المعنوية عند المصريين .. وتأليبهم ضد جمال عبد الناصر .. وقد ردت مصر بضرب مدينة إيلات ثم مصانع فوسفات سيدوم بالصواريخ.. ولكن التفكير الأهم كان بضرورة قطع تلك الذراع الطولى للصهاينة والمتمثلة فى ذلك التفوق الجوى .. ومثل هذا التفكير لن يصبح واقعاً إلا ببناء حائط قوى من صواريخ الدفاع الجوى.. ولتحقيق هذا الهدف سافر عبد الناصر فى رحلة سرية إلى موسكو خلال شهر يناير ١٩٧٠ وفى هذه الرحلة تعمد عبد الناصر تصعيد المواجهة مع القادة السوفييت حيث هدد بترك الحكم فى مصر – لمن يستطيع التفاهم مع الأمريكان .. الذين عرضوا إعادة سيناء كاملة لمصر فى حل منفرد.. وأمام جدية وصرامة عبد الناصر.. اضطر السوفييت إلى الاستجابة لكل مطالبة العسكرية وأهمها بناء حائط من صواريخ سام ٦ و سام ٣ .. وتزويد مصر أيضاً بصواريخ سام ٧ المحمولة على الكتف .. ووضع السوفيت تحدياً قوياً أمام عبد الناصر .. وهو ضرورة بناء هذا الحائط خلال مدة لا تزيد عن أربعين يوماً .. وقبل عبد الناصر التحدى .. وعاد إلى مصر ليعقد العديد من الاجتماعات مع القادرة العسكريين والمدنيين

للإتفاق على آليات بناء هذا الحائط الصلب الذى سيصدر عنا تلك الغارات البربرية المجنونة من الطيران الصهيونى.. وتم تكليف اللواء محمد على فهمى قائد سلاح الدفاع الجوى – ذلك السلاح الذى تم استحداثه بعد يونيه ١٩٦٧..ليصبح سلاحاً قائماً بذاته بعد أن كان جزءً من القوات الجوية – للإشراف على بنالء الدشم الخرسانية التى ستوضع بها كتائب الصواريخ.. وتم الاتفاق على مشاركة شركات المقاولات الكبرى وهى المقاولين العرب – نصر علام – مختار ابراهيم فى هذه العمليه التى تحولت إلى نموذج وملحمة بناء عملاقة.. حيث دار صراع رهيب مع الطيران الصهيونى الذى أصيب بأقسى وأقصى درجات (السعار) فى محاولات مجنونة لايقاف بناء تلك الدشم الخرسانية.. ورغم سقوط مئات الشهداء من العمال والجنود .. إلا أن هذه الملحمة انتهت ببناء أكثر من مائة دشمة بعضها أساسى – وبعضها إحتياطى وبعضها هيكلى .. وكانت الدشم الرئيسية بعمق من ٦ – ٨ متر وبطول ٦٠ متر وكل هذا من الخرسانة .. واستطاعت ١٨ كتيبة دفاع جوى التقدم إلى هذه الدشم العملاقة بداية من ٣٠ يونيه ١٩٧٠ واكتمل الحائط العملاق يوم ٣ أغسطس ١٩٧٠ – أى قبل خمسة أيام فقط من قبول عبد الناصر لمبادرة وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت (وليم روجرز) .. تلك المبادرة التى عرفت دولياً ب (مبادرة روجرز) لوقف اطلاق النار بين مصر والعدو الصهيونى .. واستطاع ابطال الدفاع الجوى فى أول أسبوع بعد ٣٠ يونيه ١٩٧٠ إسقاط عدد كبير من طائرات العدو – ولم تعترف مصر إلا بإسقاط ١١ طائرة فقط .. وعندما تساقط الطيران الصهيونى مثل الذباب لتقطع (الذراع الطولى) التى طالما تفاخر بها العدو.. ألحت أمريكا من خلال وزير خارجيتها وليم روجرز على مصر لقبول مبادرة وقف إطلاق النار .. وقبل الرئيس جمال عبد الناصر المبادرة لوضع اللمسات الأخيرة على خطط العبور وتحرير كامل التراب المصرى فى سيناء .. وقد رفض عبد الناصر قبل ذلك مبادرتين أمريكيتين لإعادة سيناء كاملة إلى مصر مقابل مرور السفن

الصهيونية فى قناة السويس.. أولاً لأنه يرفض الحل المنفرد .. وثانياً لأنه طول الوقت كان واعياً ومدركاً للنصيحة الاستراتيجية العظيمة التىلا أسداها له الشهيد عبد المنعم رياض عندما قال له (أرجوك يا ريس لا تقبل بعودة سيناء سلمياً لابد وأن نعيدها بالحرب.. حتى نعيد الثقة إلى الجندى المصرى الذى لم يأخذ فرصته فى مواجهة العدو خلال حرب ١٩٦٧ .. وهكذا كانت ملحمة إنشاء حائط البطولات أو حائط الصواريخ .. واحدة من ملاحم الأداء الهارمونى المتناغم بين الجيش والشعب .. وقد استطاع هذا الحائط العبقرى أن يمنع إقتراب الطائرات الصهيونية من شط القناة لمسافة ١٥ كيلو متر كاملة.. لدرجة أن جولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيونى خلال حرب أكتوبر كانت تصرخ من غرفة العمليات وتطلب من طياريها الا يقتربوا من قناة السويس.. حتى لا يقعوا فى تلك الشبكة العنكبوتية من نيران المصريين .

السويس تحاصر الصهاينة:

تعد حرب أكتوبر (النموذج الأمثل) لحرب (الأسلحة المشتركة) .. حيث تعاونت وإمتزجت كل أفرع القوات المسلحة المصرية.. لتصل فى النهاية إلى هذا الأداء المبهر.. فالقوات الجوية مع الدفاع الجوى.. مع القوات البحرية .. مع المشاة والصاعقة .. مع المدرعات .. مع سلاح المهندسين .. إلخ كل هؤلاء صنعوا تلك الملحمة العظيمة.. ولكن الأمر لا يخلو من بعض الهنات .. تلك الهنات التى أدت إلى حدوث ثغرة الدفرسوار.. حيث إستطاعت قوات العدو العبور إلى غرب القناة.. فى محاولة يائسة للحصول على (إنتصار معنوى) .. من خلال احتلال واحدة من مدينتى الإسماعيلية أو السويس .. وعلى مشارف الإسماعيلية دارت معارك رهيبة.. إنكسر خلالها العدو.. وما زالت دباباته حتى الآن موجودة عند قرية (كفر أبو عطوة) قبل الإسماعيلية بعدة مئات من الأمتار .. لتشهد على بسالة الجندى المصرى.. وإنكسار الجندى الصهيونى .. الذى استدار فى

محاولة يائسة أخرى لإحتلال مدينة السويس .. ورغم صدور قرار مجلس الأمن الدولى بوقف كل عمليات القتال يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .. إلا إن قوات العدو واصلت تقدمها فى اتجاه مدينة السويس .. فى ظل تواطؤ واضح من الأمريكان ووزير خارجيتهم اليهودى المتعصب هنرى كيسنجر .

وفى مساء ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣.. قام طيران العدو بدك مداخل المدينة ليتأكد فدائيو منظمة سيناء العربية من نية العدو لاقتحام السويس .. وعلى الفور جلسوا وقرروا تقسيم أنفسهم إلى ثلاث مجموعات .. تضم الأولى محمود عواد (القائد المدنى للمنظمة) ومعه إبراهيم سلمان – محمود طه – أشرف عبد الدايم ومعهم بعض جنود القوات المسلحة والمدنيين .. ومهمة هذه المجموعة عمل كمين أمام قسم شرطة الأربعين وضرب أول مدرعة من مدرعات العدو التى ستهاجم المدينة.

أما المجموعة الثانية فتضم عبد المنعم خالد – أحمد أبو هاشم (شقيق الشهيد مصطفى أبو هاشم أول قائد مدنى للمنظمة والذى استشهد عام ١٩٧٠ عندما ضرب الطيران الصهيونى إستاد السويس بالنابالم للقضاء على مجموعة فدائى منظمة سيناء الذين كانوا يتدربون يومياً بالإستاد)– غريب محمد غريب ومعهم بعض الجنود والمدنيين – وتقوم هذه المجموعة بعمل كمين فى منطقة سيدى الأربعين.. وتترك مدرعات العدو تدخل المدينة ثم تدمر آخر مدرعة فى هذه المدرعات .

أما المجموعة الثالثة فتضم أحمد عطيفى – محمد سرحان – فتحى عوض الله – فايز حافظ أمين ومعهم الجنود والمدنيين .. وتقوم هذه المجموعة بعمل كمين بجوار مدرسة الحرية (مزلقان الشهداء) لاصطياد المدرعات التى تصل الى هذه المنطقة وطلب فدائيو منظمة سيناء من محافظ السويس محمد الخولى .. العمل على تجميع جنود القوات المسلحة من افراد (مؤخرات الوحدات) والذين دخلوا السويس .. تحت وطأة زحف قوات العدو فى إتجاه المدينة .. وكان فدائيو المنظمة يملكون أسلحتهم الرشاشة

وكمية كبيرة من الذخيرة.. ولم يكن معهم إلا مدفعان RBG 7 فقط .. وهى مدافع مضادة للدبابات .. ومع كل مدفع ثلاثة قواذف فقط .. فحمل محمود عواد أحد هذين المدفعين .. وأخذ أحمد عطيفى المدفع الآخر.. وأخذ أفراد المجموعة الثالثة مجموعة من القنابل المضادة للدبابات .

وعند فجر الرابع والعشرين من أكتوبر عاود طيران العدو ضرب المدينة.. وفى العاشرة والنصف صباحاً دخلت دبابات العدو إلى شارع الجيش وأطلق محمود عواد قواذف الآر بى جى على الدبابات ليصيب بعضها دون أن يدمرها .. وأمام سينما رويال أطلق أحمد عطيفى أحد صواريخ الآر بى جى فأصاب دبابة دون أن يدمرها أيضاً .. فأخذ إبراهيم سليمان المدفع .. وأطلق صاروخاً على دبابة سنتريون ٧ .. فدخل الصاروخ من فتحة السائق وقطع رأسه .. وتوقفت الدبابة .. وسارع محمود عواد بالصعود فوق هذه الدبابة العملاقة والقى بداخلها قنبلة لتنفجر الدبابة وتسد الطريق على الدبابات التى خلفها.. ليتم الهجوم على هذه الدبابات من كل من كان يحمل سلاحاً فى السويس .. سواء أكان جندياً أو فدائياً أو مواطناً عادياً .. والتحم أبطال السويس مع جنود العدو فى قتال مباشر .. وأطلق ابراهيم سليمان آخر صاروخ معه على دبابة أخرى فدمرها .. فسارع جنود العدو بترك الدبابات والمدرعات ليختبئوا فى قسم الأربعين.. واستشهد البطل أحمد أبو هاشم عند مزلقان البراجيلى.. وتم التفاوض مع جنود العدو الذين لجأوا إلى قسم الأربعين لتسليم أنفسهم .. وقرر مجموعة من الفدائيين اقتحام القسم .. ولكن رصاصات قناصة العدو داخل القسم.. استطاعت إصابة مجموعة من الأبطال .. ليتم استشهاد البطل إبراهيم سليمان على سور القسم .. والبطلين أشرف عبد الدايم وفايز حافظ أمين داخل ساحة القسم .. فقام كل أبطال السويس بتوجيه نيران أسلحتهم إلى قسم الآربعين إلى أن حل الظلام .. وخشى محمود عواد من أن يقوم العدو باستخدام دباباته التى تركها جنوده فى شوارع المدينة.. فقرر أن يأخذ معه محمود طه .. ومعهما بعض عبوات البنزين وقاما بتفجير أكثر

من ثلاثين دبابه وعربة مدرعة كانت موجودة فى شوارع المدينة.. ومن مفارقات هذه العملية مرور جندى مصرى من أمام سينما رويال وهو يغنى أغنية أنت عمرى لأم كلثوم.. وفجأة إنطلقت رصاصة من داخل السينما لتصيبه فى رأسه ويسقط شهيداً .. فطلب عواد من طه حمل الشهيد إلى مستشفى السويس لمعرفة نوع الطلقة التى أصابته.. وعاد طه بعد وقت قصير ليخبر عواد بأنها طلقة رشاش عوزى مما يستخدمه العدو.. فقاما البطلان بإطلاق القنابل على المكان الذى خرجت منه الرصاصة .. ليكتشفا فى الصباح نهم قتلوا أربعة من جنود العدوا كانوا مختبئين فى سينما رويال.. وتم تكليف فتحى عوض الله بعمل حصر لخسائر العدو.. فركب دراجة وراح يطوف شوارع السويس لإعداد هذا التقرير .. وتمت إذاعة هذا التقرير فى نشرات الأخبار بالإذاعة والتليفزيون .. حيث تم تدمير أكثر من ثلاثين دبابة ومدرعة وسيارة للعدو .. وكان عدد قتلى العدو طبقاً لتقرير عوض الله أقل من العدد الحقيقى والذى وصل إلى ٦٠ قتيلاً .. وكان هذا الخطأ أحد الأسباب التى دفعت قيادة العدو إلى عدم اتخاذ قرار باقتحام المدينة مرة أخرى خوفاً على جنودهم الذين ظنوا أنهم من الأسرى.

وبعد فشل العدو الصهيونى فى احتلال مدينة السويس .. قرر قبول قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار.. وجاءت بعثة من قوات الطوارئ الدولية – لتحديد المواقع المتواجد عندها قوات كل طرف .. وتم اختيار محمد سرحان (محى سرحان) الذى كان يجيد الإنجليزية ومعه محمود طه من فدائى منظمة سيناء العربية للسير مع بعثة قوات الطوارئ لتحديد مواقع القوات المصرية.. وكان ضمن أفراد البعثة جندى يهودى يرتدى سلسلة بها نجمة داود .. وعند كل نقطة كان يجد نفس الوجوه .. وبعد أن عانى كثيراً من محيى سرحان الذى استطاع أن يكتسب أراضى كثيرة جداً ليضعها تحت سيطرة القوات المصرية – صرخ هذا اليهودى قائلاً(كوماندوز) وسحب مسدسة ليضعه على رقبة سرحان ..

والذى قال بكل الهدوء يا عبد المنعم ليخرج البطل عبد المنعم خالد من بين الزراعات مثل الوحش الذى يحمل بين يديه مدفعه الرشاش – وكان خالد ضخم الجسم طويل مفتول العضلات.. وعندما شاهده ذلك اليهودى أنزل مسدسه وقبل بكل ما يقوله محيى سرحان.

ورغم حصار العدو الصهيونى لمدينة السويس .. من كل جانب إلا أن أبطال منظمة سيناء العربية ومعهم بعض جنود وضباط الجيش الثالث الذين دخلوا المدينة .. ومعهم أيضاً النقيب شرطة حسن أسامة العصرة أبن السويس والذى كون مجموعة فدائية خاصة به.. استطاع كل هؤلاء أن يجعلوا من حصار العدو للسويس ..حصاراً رهيباً للعدو نفسه .. واستطاع فدائيو المنظمة تنفيذ العديد من العمليات ضد قوات العدو .. وخطف العديد من أسلحته وصواريخه – ثم ضربه بها ..وبدأت مفاوضات الكيلو ١٠١ ليتم الإتفاق على فض الاشتباك الأول فى يوم ١٧ يناير ١٩٧٤ – والطريف أن قوات العدو كانت تضرب الرصاص بكثافة فى الهواء.. فرحة بأنها قد فكت الحصار عن السويس .. والفرحة لم تكن من أجل السويس .. ولكن لأنهم قد تخلصوا من العمليات الفدائية الكثيرة والقاسية التى نفذها أبطال السويس ضدهم.

وهكذا فإن التلاحم والتمازج ما بين الشعب المصرى .. وجيش مصر.. يمثل سلسلة طويلة من العطاءات العظيمة .. التى تم حفرها بالدم والبطولات.. على لوحة خلود الزمن .. لتظل دوماً خالدة وحية ومحفورة على خلايا كل المصريين .. لإنها ستظل دوماً ملاحم الجيش وبطولات الشعب.

محمد الشافعى